إشكالية رسم المصحف العثماني في ضوء الرؤية الاستشراقية

المدرس الدكتور
حكيم سلمان السلطاني
المدرس الدكتور
زهراء البرقعاوي
الجامعة الإسلامية- النجف الأشرف

The problem of drawing the Ottoman Qur'an in light of the Orientalist vision

Lec. dr
Hakim Salman Al-Sultani
Lec. dr
Zahraa Al-Barqawi
Islamic University - Najaf Al-Ashraf

الخلاصة :

خلاصة القول: أن القرآن ككتاب فقد اهتم العلماء كثيرا بموضوع رسم المصحف، وكان محط دراساتهم منذ القرن الإسلامي الثاني فقد افرده بالتصنيف خلائق من المتقدمين والمتأخرين، وألف فيه العلماء كتباً كثيرة.

ولأنّ المستشرقين قد تناولوا القرآن الكريم من عدة جوانب، لغوية وتاريخية وتفسيرية، فقد ارتأينا أن نخوض بمقولاتهم التي تتعلق برسم المصحف العثماني، وكيف أسست هذه المقولات للقول باضطراب النص القرآني من خلال قراءاته المتشكّلة عندهم في الأساس على رسم المصحف.

إن الغاية من دراسة رؤى المستشرقين وبيانها هو لأجل معرفة حقيقة موقفهم من القرآن وأسباب هذا الموقف، ولكي نتبيّن ذلك لابد أن نكون مطّلعين تماما على رؤية المستشرقين والنقاط الجوهرية التي يثيرونها.

وتأسيسا على هذه المواقف، يقدم هذا البحث عرضاً مجملاً للرؤية الاستشراقية التي تهدف إلى رمي النص القرآني بالاضطراب والتناقض، بحسب تعدد وجوه القراءات الناتجة عن اختلاف.

الكلمات المفتاحية :المصحف ، الرسم العثماني ،الاستشراقية ، الخط ، المستشرقين

Abstract:

The subject of the drawing of the Koran interested the scientists a lot, and was the focus of their studies since the second century, the Islamic uniqueness of the classification of the creators of the applicants and late, and the scientists authored many books.

Because orientalists have dealt with the Holy Quran in several aspects, linguistic, historical and interpretive, I thought I should go to their conclusions concerning the drawing of the Ottoman Koran, and how these statements were founded to say the disorder of the Quranic text through the readings built on them basically on the drawing of the Koran.

The purpose of studying orientalist visions and their statement is to know their true position from the Qur'an and the reasons for this position. In order to realize this, we must be fully aware of the orientalists' vision and the essential points they raise.

Based on these positions, this research presents a comprehensive presentation of the orientalist vision which aims to throw the Quranic text into turmoil and contradictions, according to the many faces of readings resulting from the different drawing of the Koran.

However, there is no contradiction and contradiction in the Qur'anic text as a way of reading. It is a difference of

diversity and richness

Key words: Mushaf, Ottoman painting, Orientalism, calligraphy, orientalists

المقدمة

فقد اهتم العلماء كثيرا بموضوع رسم المصحف، وكان محط دراساتهم منذ القرن الإسلامي الثاني فقد افرده بالتصنيف خلائق من المتقدمين والمتأخرين، وألف فيه العلماء كتباً كثيرة.

ولأنّ المستشرقين قد تناولوا القرآن الكريم من عدة جوانب، لغوية وتاريخية وتفسيرية، فقد ارتأينا أن نخوض بمقولاتهم التي تتعلق برسم المصحف العثماني، وكيف أسست هذه المقولات للقول باضطراب النص القرآني من خلال قراءاته المتشكّلة عندهم في الأساس على رسم المصحف.

إن الغاية من دراسة رؤى المستشرقين وبيانها هو لأجل معرفة حقيقة موقفهم من القرآن وأسباب هذا الموقف، ولكي نتبيّن ذلك لابد أن نكون مطّلعين تماما على رؤية المستشرقين والنقاط الجوهرية التي يثيرونها.

وتأسيسا على هذه المواقف، يقدم هذا البحث عرضاً مجملاً للرؤية الاستشراقية التي تهدف إلى رمي النص القرآني بالاضطراب والتناقض، بحسب تعدد وجوه القراءات الناتجة عن اختلاف رسم المصحف.

▪ في رسم المصحف العثماني

الرسم لغة هو الأثر[1]، ورسم كل شيء أثره، والجمع رسوم. وقد استعير للدلالة على خط المصحف إشارة إلى معنى الأثر القديم[2]. وكان استعمال لفظ الرسم بهذا المعنى قد ظهر متأخراً على يد أبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ) في كتابه (المقنع). وتحدث ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) عن فن الرسم بقوله: ((ربما أضيف إلى فن القراءات فن الرسم أيضا، وهي أوضاع حروف القرآن في المصحف ورسومه الخطية))[3]. وأطلق عليه القلقشندي (ت٨٢١هـ) عدة أسماء[4]، هي: (المصطلح الرسمي)، أو (الاصطلاح السلفي)، وهو الذي يقابل (المصطلح العرفي) المعتاد عند الناس في كتابة الكلمات. وهذه

المصطلحات المترادفة، ظلت تستعمل للدلالة على الكتابة عامة، إلا مصطلح الرسم المصحفي، الذي كان يعني خط المصحف خاصة[٥].

ورسم المصحف كثيراً ما ينسب إلى عثمان بن عفان فيقال الرسم العثماني، لأن جمع القرآن قد تم في عهده* فارتبط اسمه بتلك المصاحف التي بعث بها إلى الأمصار وبطريقة الكتابة فيها. وبذلك فإن الرسم العثماني هو ما خطه الصحابة حين نسخوا المصاحف[٦].

وقد كان رسم المصحف مثار اهتمام العلماء، ومحط دراساتهم منذ القرن الإسلامي الثاني فقد افرده بالتصنيف خلائق من المتقدمين[٧] والمتأخرين، وألف فيه العلماء كتباً كثيرة.

من هذه الكتب[٨] التي تناولت ذلك:

١. (اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق)، و(مقطوع القرآن وموصله)، لعبد الله بن عامر اليحصبي (ت١١٨هـ).
٢. (هجاء المصاحف)، ليحيى بن الحارث الدماري (ت١٤٥هـ).
٣. (مقطوع القرآن وموصوله)، لحمزة بن حبيب الزيات (ت١٥٦هـ).
٤. (اختلاف مصاحف أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة)، (الهجاء)، (مقطوع القرآن وموصوله)، لعلي بن حمزة الكسائي(ت١٨٩هـ).
٥. (اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف)، للفراء (ت٢٠٧هـ).
٦. (اختلاف المصاحف)، لخلف بن هشام (ت٢٢٩هـ).
٧. (هجاء المصاحف)، لمحمد بن عيسى الأصبهاني(٢٥٣هـ).
٨. (اختلاف المصاحف)، و(الهجاء)، لأبي حاتم السجستاني (ت٢٥٥هـ).
٩. (هجاء المصاحف)، لأحمد بن إبراهيم الوراق(ت٢٧٠هـ).
١٠. (الهجاء)، (الرد على من خالف مصحف عثمان)، لأبي محمد بن القاسم الأنباري (ت٣٢٧هـ).

١١. (اللطائف في جمع همز المصاحف)، لأبي بكر محمد بن الحسن المشهور بابن العطار (ت٣٥٤هـ).

١٢. (في الرسم)، لأبي بكر محمد بن عبد الله بن أشته الأصبهاني (ت٣٦٠هـ).

١٣. (هجاء مصاحف الأمصار)، لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي (ت٤٣٠هـ).

١٤. (المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار)، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ)، وهو من أشهر كتب الرسم على الإطلاق، بل إنه قد بلغ به الذروة، وقد نظمه الشاطبي (ت٥٩٠هـ) في منظومته الرائية المسماة (عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد). ونظمه أيضا الخراز (ت٧١٨هـ) في منظومته المسماة (مورد الظمآن). وقد قام العلماء بعدهما بشروح لهاتين القصيدتين.

وإلى جانب تلك الكتب الخاصة بالرسم، هناك فصول مبثوثة في كتب علوم القرآن، تتحدث عن الرسم.

لاشك أنّ الخط وضع ليعبر عن المعنى بنفس اللفظ الذي ينطق به، فالكتابة في الحقيقة قيد للفظ المعبر عن المقصود. وعليه فيجب أن تكون الكتابة مطابقة للفظ المنطوق به تماماً، ليكون الخط مقياسا للفظ من غير زيادة عليه أو نقصان.

بيد أن المصاحف العثمانية قد أهمل فيها هذا الأصل فوجدت بها حروف كثيرة جاء رسمها مخالفا لأداء النطق، ويظهر أن الإصلاحات التي ظهرت على الخط العربي فيما بعد ((لم تكن قد كملت بعد في العهد الذي رسم فيه المصحف العثماني، أو لم يكن استخدامها قد انتشر كل الانتشار، أو لم يكن الصحابة ممن رسموا المصحف على علم تام بها، أو أنهم قد تحرجوا من إدخالها في رسم القرآن. فجاءت المصاحف العثمانية مجردة من الإعجام والشكل؛ ورسمت فيها حروف كثيرة بصورة مضطربة خاطئة، كزيادة الياء في (بأييد)، والألف في (لااذبحنه)، و(لااوضعو خلالكم)، والواو في (جزاءو

الظالمين)؛ وحذفت منها الألف كثيراً من الكلمات (الرحمن، السموات، يُقَتلونكم، للكفرين، ميثقكم، بالظلمين، استطعوا، وهجروا، وجهدوا، ومنفع للناس، اليتمى، قنتين، .... ألخ)؛ ورسم فيها بعض التاءات المربوطة مفتوحة (نعمت الله ... ألخ)؛ واستبدلت فيها حروف بحروف أخرى ﴿ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾))[9].

والذي تؤكده النقوش الأثرية، أن الصحابة كتبوا المصاحف كما يكتب الناس في زمانهم، بالقواعد الإملائية التي يعرفونها. وهذا الرأي هو الذي ترجحه الأدلة الأثرية المكتوبة، التي اكتشفت قبل الإسلام وفي سنواته الأولى، إذ يلاحظ فيها إنقاص الألف، وخلوها من النقط والشكل، وبعض الظواهر الكتابية الأخرى.

ومن الظواهر التي جاءت مخالفة للقواعد الإملائية في الرسم العثماني، حذف الألف، مثل (خئفين، المؤتفكت، أبصر)، وحذف الياء (ارهبون، يؤت، الحوارين)، وحذف الواو (يدع، يستون)، وحذف اللام (اليل، الاتي) وحذف النون (نجي، تك)، وزيادة بعض الحروف، كزيادة الألف (لشائ، ابن، لااذبحنه، تايئسوا، ادعوا)، وزيادة الياء (تلقاءى، نبأى، بأييكم، بأييد)، وزيادة الواو (سأوريكم، لأوصلبنكم)، وظاهرة الإبدال، إبدال الياء ألفاً (الاقصا، طغا، رءا، نئا، يحيا، لدا، بشرا)، وإبدال الألف ياءً (طحيها، زكيها، اجتبيكم)، وإبدال الألف واواً (الصلوة، الزكوة، الحيوة، الربو، الغدوة)، وإبدال نون التوكيد الخفيف تنويناً (لنسفعا، ليكونا)، وإبدال التاء المربوطة تاء مفتوحة (رحمت، نعمت، امرأت، لعنت، شجرت، سنت)، وإبدال السين صاداً (الصراط، يبصط)، وظاهرة كتابة الهمزة (الضعفؤا).

وقد يغلوا بعض المتزمتين بالرسم القديم، فيزعمونه توقيفاً كان بأمر النبي (ﷺ) الخاص، ولم يكن للكتبة الأوائل دخل في رسمه بالهيأة الموجودة. وإن

وراء هذه المخالفات الإملائية سراً خفياً وحكمة بالغة لا يعلمها إلا الله سبحانه.

وهو ما ادعاه ابن المبارك في نقله عن شيخه عبد العزيز الدباغ أنه قال: ((ما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة، وإنما هو توقيف من النبي (ﷺ) وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الألف ونقصانها، لأسرار لا تهتدي إليها العقول وهو سر من الأسرار خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية، وكما أن نظم القرآن معجز فرسمه أيضا معجز))[١٠].

وقد رد الدكتور الصغير هذا الكلام وبين هزاله من عدة وجوه، منها: ((أن الرسم المصحفي لم يرد فيه ولا حديث واحد عن النبي (ﷺ) فكيف يكون توقيفيا ... الثاني: لو كان الرسم توقيفياً لكانت خطوط كتاب الوحي واحدة، وليس الأمر كذلك))[١١].

وذهب بعض إلى تفسير ظواهر الرسم تفسيرا صوفيا، وأن فيه حكماً خفية، وأسرارا بهية أبو العباس المراكشي (ت٧٢١هـ)، إذ عبر عنها بقوله إن الرسوم ((إنما اختلف حالها في الخط، بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها))[١٢]. وكذلك ((التنبيه على العوالم الغائب والشاهد، ومراتب الوجود والمقامات))[١٣].

وإن كان المراكشي قد عرض مذهبه في عبارة قوية وأسلوب جيد، فإنه لم يسلم من النقد، لأن قوة العبارة وجودة الأسلوب لا يمكنهما أن تنصرا مذهبا، إذا توافرت فيه عوامل الضعف.

وسبب ميل المراكشي إلى هذه الأسرار هو كما قال د. غانم قدوري حمد أنه ((كان ذا ميل شديد إلى العلوم الرياضية والعقلية، يتجلى ذلك في مؤلفاته الكثيرة في الفلسفة والمنطق والفلك والأصول، ثم أنه ذو اتجاه صوفي وجداني،

دفعه إلى الانقطاع مدة عن أكل ما فيه روح، وأصيب بحالة عصبية فحجب عن بيته سنة وتعافى))[١٤].

وهذه الأسرار الخفية بعيدة كل البعد عن طبيعة الموضوع، فلم يدر في خلد الصحابة شيء من تلك المعاني الصوفية التي يحاول المراكشي أن يعلل بها رسم كلمات المصحف.

ومنهم من ذهب أنّ اختلاف المسلمين في القراءات، هو السبب الذي من أجله كُتِبت المصاحف بطريقة تحتمل هذه القراءات الصحيحة، فقد ((ساعدت صورة الخط العربي، في ذلك الوقت على أن يتضمن النص القرآني المكتوب معظم القراءات، التي قرئ بها القرآن في أيام النبي))[١٥]. لقد ساعد الخط العثماني بخلوه من النقط والشكل وبعض ظواهره الكتابية ومنها حذف الألف أن يقرأ بصور عدة، فجاء محتملا للكثير من القراءات، وأصبحت من مميزات الرسم الدلالة على القراءات، وجعل السيوطي من قواعد الرسم العثماني ((ما فيه قراءتان فكتب على أحدهما))[١٦]، وعدّد بعض الكلمات التي أنقصت منها الألف.

وذهب الزرقاني إلى أنّ ((قاعدة الرسم لوحظ فيها أن الكلمة إذا كان فيها قراءتان أو أكثر، كتبت بصورة تحتمل هاتين القراءتين أو الأكثر. فأنّ كان الحرف لا يحتمل ذلك بأن كانت صورة الحرف تختلف باختلاف القراءات جاء الرسم على الحرف الذي هو خلاف الأصل، وذلك ليعلم جواز القراءة به وبالحرف الذي هو الأصل. وإذا لم يكن في الكلمة إلا قراءة واحدة بحرف الأصل رُسِمت به مثال الكلمة تكتب بصورة واحدة وتقرأ بوجوه متعددة قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾ (طه/ ٦٣) رسمت في المصحف هكذا: (إن هدں لسحرں) من غير نقط ولا شكل ولا تشديد ولا تخفيف في نوني إن وهذان، ومن غير ألف ولا ياء بعد الذال من هذان، ومجيء الرسم

كما ترى كان صالحا عندهم لأن يقرأ بالوجوه الأربعة التي وردت كلها بأسانيد صحيحة. (أولها) قراءة نافع ومن معه إذ يشددون نون (إنّ) ويخففون (هذان) بالألف. (ثانيها): قراءة ابن كثير وحده إذ يخفف النون في (إنْ) ويشدد النون في (هذانّ). (ثالثها): قراءة حفص إذ يخفف النون في (إنْ) و(هذان) بالألف: (رابعها): قراءة أبي عمرو بتشديد (إنّ) وبالياء وتخفيف النون في (هذين) فتدبر هذه الطريقة المثلى الضابطة لوجوه القراءة لتعلم أنّ سلفنا الصالح كان في قواعد رسمه لمصحف أبعد مِنًا نظراً وأهدى سبيلاً))[١٧].

والحق إنّ الرسم العثماني بخلوه من النقط والشكل ومن الألف وإن ساعد على أن تقرأ الكلمة بصور عدة. إلا أنّ ذلك ليس مراداً من الصحابة بل إنّ طريقتهم في الكتابة آنذاك هي التي ساعدت عليه. ولا خلاف أنّ ما رسم أصلا بالألف الممدودة ليس له إلا وجه المد، ولا يصح فيه قراءة القصر، وهذا محل اتفاق، كما في (الميزان، كالفخار، الأكمام). وكذلك فإنّ بعض ما رسم أصلا من دون ألف حظي باتفاق الكل على تقدير الألف فيه، ولم يقرأ بغير ألف كما في (الرحمن، الإنسن، قصرت، يهمن).

ولكن وقع الخلاف في بعض ما رسم أصلا من دون الألف، وقرئ بوجهين: بتقدير الألف وبحذفها. كما في (واعدنا)، فقرئت بتقدير الألف (واعدنا)، وقرئت من دون ألف (وعدنا).

والذي تؤكده النقوش الأثرية، أنّ الصحابة كتبوا المصاحف كما يكتب الناس في زمانهم، بالقواعد الإملائية التي يعرفونها. فلهذه المسألة جذوراً تاريخية ترجع إلى الخط النبطي❖ المشتق من الخط الآرامي. وهذا الرأي هو الذي ترجحه الأدلة الأثرية المكتوبة، التي اكتشفت قبل الإسلام وفي سنواته الأولى، إذ يلاحظ فيها إنقاص الألف، وخلوها من النقط والشكل، وبعض الظواهر الكتابية الأخرى[١٨].

وعليه فكتابة المصحف إذن كانت في ضوء ما ألفه الصحابة من الهجاء واعتادوه من الرسم، وذلك قصارى جهدهم، وما ورد فيها من مخالفات إملائية لا يتعارض مع أصول المعاني ومداليل الألفاظ، فالإملاء لا يغير نطقا، ولا يحرف معنى[١٩]. وما ورد فيها من مخالفات إملائية ليس بالشيء الذي يمس سلامة القرآن. فالقرآن هو الذي يقرأ، لا الذي يكتب فلتكن الكتابة بأي أسلوب. فإنها لا تعني شيئاً ما دامت القراءة باقية على لغتها الأولى التي كانت تقرأ على عهد الرسول (ﷺ) وصحابته الأكرمين.

- **رؤية المستشرقين لرسم المصحف العثماني**:

قرر المستشرقون أن السبب في ظهور القسم الأكبر من القراءات هو خاصية الخط العربي، فالرسم الواحد للكلمة الواحدة قد يقرأ بأشكال مختلفة تبعاً للنقط فوق الحروف أو تحتها، كما أن عدم وجود الحركات النحوية وفقدان الشكل في الخط العربي يمكن أن يجعل للكلمة حالات مختلفة من ناحية موقعها من الإعراب مما يؤدي إلى اختلاف دلالتها، كل ذلك كان السبب الأول لظهور حركة اختلاف القراءات وتعددها كما زعم كثير من المستشرقين.

يقول جولد تسيهر: ((وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات إلى خصوصية الخط العربي الذي يقدم هيكله المرسوم مقادير صوتية مختلفة، تبعاً لاختلاف النقاط الموضوعة، فوق هذا الهيكل أو تحته، وعدد تلك النقاط. بل كذلك في حالة تساوى المقادير الصوتية يدعو اختلاف الحركات الذي لا يوجد في الكتابة العربية الأصلية ما يحدده، إلى اختلاف مواقع الإعراب للكلمة، وبهذا الى اختلاف دلالتها، وإذاً فاختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط، واختلاف الحركات، في المحصول الموحد القالب من الحروف الصامتة، كانا هما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات في نص لم يكن منقوطاً أصلاً، أو لم تتحر الدقة في نقطه أو تحريكه))[٢٠].

فالمستشرق جولد تسيهر، يرى أنّ سبب الاختلاف بين القراءات، يرجع إلى خصوصية الخط العربي الذي لم يكن منقوطا ولا مشكولا. وقدم أمثلة[٢١] حاول الاستدلال بها على دعواه، وهي:

١- ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ (الأعراف/٤٨)، (تستكبرون) بالباء الموحدة، وفي قراءة (تستكثرون) بالثاء المثلثة.

٢- ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓ ﴾ (الاعراف/٥٧)، (نشرا) بالنون بدل الباء.

٣- ﴿ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾ (التوبة/١١٤)، بالياء المثناة التحتية، وفي قراءة – من الغريب أنها قراءة حماد الراوية- (أباه) بالباء الموحدة.

٤- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا ﴾ (النساء/٩٤)، فبدلا من (فتبينوا) قرأ جماعة من ثقات القراء (فتثبتوا) والهيكل المرسوم يحتمل الوجهين.

وذهب الى أن هذه الاختلافات وما شابهها لاتسبب فرقا من جهة المعنى العام ولا من جهة الاستعمال الفقهي.

٥- ﴿ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (البقرة/٥٤)، أي فليقتل بعضكم بعضا، (أو بالمعنى الحرفي للنص: فاقتلوا أنفسكم بأنفسكم).

يدور الحديث حول غضب موسى حين علم بصنع بني إسرائيل عجلا من ذهب وعبادتهم إياه فقد وجد المفسرون الأمر بقتل أنفسهم، أو بقتل الآثمين منهم، أمرا شديد القسوة، وغير متناسب مع الخطيئة، فآثروا تحلية الحرف الرابع من هيكل الحروف الصامتة بنقطتين من أسفل، بدل التاء المثناة من أعلى، فقرؤا: (فأقيلوا) بمعنى: حققوا الرجوع عمّا فعلتم، أي بالندم على الخطيئة المقترفة.

وهذا المثال - بحسب جولد تسيهر - يدل فعلا على أن ملاحظات موضوعية قد شاركت في سبب اختلاف القراءة، خلافا للأمثلة السابقة التي نشأ الاختلاف فيها من مجرد ملابسات فنية ترجع إلى الرسم.

٦- ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾ (الفتح/٨-٩)، فبدلا من: (وتعزروه) بالراء المهملة، الذي معناه: وتساعدوه، قرأ بعضهم: (وتعززوه) بالزاي المعجمة بمعنى: وتعظموه. وداعي تغيير النص على هذا الوجه خشية تصور أن الله ينتظر من الناس مساعدة أو معونة. وقد كان مجرد إضافة نقطة واحدة كافية في إزالة ذلك الإيهام: فانتقل المعنى من تقديم المعونة لله إلى تعظيم الله.

وهو في هذه الأمثلة قد خلط قراءات صحيحة بقراءات شاذة منكرة. ومن القراءات الصحيحة، الأمثلة: (٤،٢). ومن القراءات الشاذة، الأمثلة: (٦،٥،٣،١).

ثم يأتي آرثر جفري متابعاً جولدتسيهر في ادعائه أن اختلاف القراءات راجع إلى سببين رئيسين نتجا عن التزام رسم القرآن بالخط العربي فتأثرت القراءات بطبيعته من جهتين؛ الأولى: تجرد خط المصاحف العثمانية الأولى من النقط. والثانية: عدم ضبط هذا النص بالشكل.

يقول آرثر جفري في المقدمة التي كتبها لتحقيقه كتاب ((المصاحف)) لابن أبي داود: ((وكانت هذه المصاحف كلها – يعني مصاحف عثمان التي بعث بها إلى الأمصار – خالية من النقط والشكل، فكان على القارئ نفسه أن ينقط ويشكل هذا النص على مقتضى معاني الآيات. ومثال ذلك (يعلمه) كان يقرؤها الواحد (يُعَلِّمُه) والآخر (نُعَلِّمُه) أو (تُعْلِمُه) أو (بِعِلْمِه) إلخ على حسب تأويله للآية))[٢٢].

ويوافقهما على هذا المستشرق الألماني (كارل بروكلمان) فقال: ((حقا فتحت الكتابة التي لم تكن قد وصلت بعد إلى درجة الكمال، مجالا لبعض الاختلاف في القراءة، ولا سيما إذا كانت غير كاملة النقط، ولا مشتملة على رسوم الحركات، فاشتغل القراء على هذا الأساس بتصحيح القراءات واختلافها))[٢٣].

ومع أن هذا الرأي قد لقي نقدا وتجريحا من قبل بعض الدارسين العرب[٢٤]. ألا أنه لقي بالوقت نفسه تأييدا من قبل آخرين أمثال إبراهيم الإبياري، وجواد علي، وصلاح الدين المنجد[٢٥].

ونستطيع أن نقول لو كانت القراءة تابعة للرسم كما يقول (جولد تسيهر) لصحت كل قراءة يحتملها رسم المصحف، لكن الأمر على غير ذلك، فإنّ بعض ما يحتمله الرسم صحيح مثل (فتبينوا)، وبعضه من الشواذ مثل قراءة (أباه)، وقراءة (تستكثرون).

فالأصل أنّ الرسم تابع للرواية والنقل، وأن الرواية منقولة من أفواه الرجال الحفظة، لا كما يصوره المستشرقون، فإذا احتمل الرسم قراءة غير مروية ولا ثابتة. ولا مسندة إسنادا صحيحا ردّت ووصمت أنها من الشواذ.

ونستطيع أن نقول إنّ القراءة تابع للرواية والنقل من أفواه الحفظة، مع موافقتها للعربية، ومطابقتها لرسم المصحف، لا أنّ الرسم العثماني هو وحده المتحكم في القراءة. وإلا لصحت كل قراءة يحتملها رسم المصحف. فقد يحتمل

الرسم في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ ﴾ما نسبت الى حمزة الزيات من أعدائه "ذلك الكتاب لا زيت فيه"![٢٦]. ويحتمل الرسم في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ ولله ميزاب السموات والأرض". لكن شيئا من ذلك لم ينقل في صحيح الرواية ولم يرد فيما ثبت عن الرسول (ﷺ) فهو إذن من التحريف والتصحيف.

ونستطيع أن نلخص مضامين تلكم الردود والانتقادات بما يأتي:

١- اعتماد القراءات على النقل والرواية.

٢_ ظهور حركة القراءة قبل وجود النقط والشكل.

٣_ إن شيوع ظاهرة القراءات القرآنية كان قبل تدوين المصاحف.

((فلم يكن خط المصاحف -إذن- سببا في وجود القراءات القرآنية أو اختلافها، ولكنه كان سببا في حفظ الاختلاف الموجود أصلا، لأنّ القراءة سنة متبعة. وقد كان الرسم حين عدّت موافقته شرطا في قبول القراءة مقياسا وقائيا، يمنع ما لا يدخل في نطاقه، مما صحّ من الروايات، فالرسم لا ينشئ القراءة ولكنه يحكم عليها)) [٢٧].

وقد يكون الحديث عن رسم المصحف العثماني وأثره في القراءات القرآنية مقدمة للطعن والغمز في سلامة القرآن الكريم، وهو ما يراه المستشرقون من أن تعدد القراءات القرآنية للنص القرآني هو اضطراب لحقه بسببها، وهذا ما ذهب إليه (جولد تسيهر)؛ قائلا: ((فلا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافا عقديا على أنه نص منزل أو موحى به يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد في النص القرآن)) [٢٨].

والحق أنّ هذه الاختلافات ليست متناقضة بمعنى أن يُلْجَأ إلى هدر أحد الوجهين إذا اعتمد الآخر؛ بل هي ذات معان متضامنة يكمل بعضها بعضاً، وقد يدل الوجه على ما لا يدل عليه أخوه ولكنه لا ينافره ولا يضاده، بل يمنحك معنى جديداً يضيء لك سبيل التفسير أو الحكم. وعلى هذا يقول الزرقاني: ((بل القرآن كله على تنوع قراءاته يصدق بعضه بعضاً، ويبين بعضه بعضا ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد في علو الأسلوب والتعبير، وهدف واحد من سمو الهداية والتعلم، وذلك من غير شك يفيد تعدد الإعجاز بتعدد القراءات والحروف))[٢٩].

فحمل القراءات بعضها على بعض نقصد به اتساع المعاني للقرآن الكريم وهو ما يعبر عنه بـ (ثراء المعنى) ونقصد به كثرة المعاني لتنوع القراءات، أي أن القراءات تكون صالحة لأن تدل في تنوعها على معان متعددة على سبيل البدل أو الاشتراك.

والسؤال الوارد هنا حول اتساع معاني القراءات القرآنية على اختلافها وتنوعها هل قصد القرآن الكريم إلى تعدد المعاني هذه؟ وهو سؤال كما نرى يتعلق بوظيفة النص القرآني وغايته، وإذا كان من المتفق عليه أنّ النص القرآني هو نص مقدس موحى من قبل الله تعالى (نص الهي)، وأنه خاتم الكتب السماوية (نص خالد)، وأنه عالمي الخطاب (نص عصري) لذا كان من ضروريات النص القرآني أن يتسع لأكثر من معنى ليحاكي كل ظروف الحياة ومتطلباتها ومستجداتها، مما تَكَشَّفَ أنه من غير الممكن أن ندعي صواب معنىً واحد من تفسيرات النص يكون ما عداه من المعاني خطأ.

ولا يعني هذا أن جميع دلالات القراءات صحيح ومقبول، بل هناك الصحيح والضعيف والمردود، إنما المقصد هنا أن النص القرآني من خلال القراءات يعطي مساحة للفهم ودائرة واسعة للاجتهاد والنظر والتأمل.

فالمتأمل في القراءات يكون بصدد جملة أهداف متآزرة تكشف عنها إمكانيات النص الهائلة حيث يكون النص القرآني مُوَجَّهًا – بفضل إمكانيته المودعة فيه – لتحقيق أغراض متعددة، قد لا تخالف أي منها نصاً، أو عقلاً، أو واقعاً. ولا يفضي إلى تحريم حلال، أو تحليل حرام. بل قد تكون جميع وجوهه مقبولة ومرادة وذات فائدة مترتبة على توجيه هذه القراءات خاصة.

وهذا يرجع إلى ثرائه وتجدد معينه الذي لا ينضب، سواء أكان هذا التنوع على صعيد اللفظ الواحد (القرآن) على سبيل التفسير، أم على صعيد تعدد اللفظ (القراءات) على سبيل التوجيه. وإنما الاختلاف إن وجد فهو من فهمنا لتوجيه القراءة.

واعتبار النص القرآني كُلاً لا يتجزأ لأنه يهدف إلى غاية واحدة وإن تنوعت مظاهر تعبيره تبعاً لتنوع القراءات، لذا يجب التسليم بأن القراءات الواردة في الآية وإن تنوعت فإن لها ثابتا بنيويا تنطلق منه فهي تُطْلِق أو تقيد، و تُجْمِل أو تفصل، و تُبَيِّن أو تخصص المعنى في النص القرآني، ولكنه مهما كان الحال فإنها لا تناقضه ولا تضاده.

فإن من إعجاز القراءات أنها تتكامل مع النص ولا تتنافر معه، فكل قراءة تضيف إلى النص القرآني معنى من المعاني ولا تلغيه؛ قال الشيخ الزرقاني: ((ما في تنوع القراءات من البراهين الساطعة، والأدلة القاطعة على أن القرآن كلام الله، وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله؛ فإن هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها لا تؤدي إلى تناقض في المقروء وتضاد، ولا إلى تهافت وتخاذل)) [٣٠]. وهذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [٣١]، ويدل عليه إقرار النبي (ﷺ) للمختلفين في القراءة بقوله: أصبتم، أو كلاكما محسن، أو أي ذلك قرأتم

أصبتم، وكذلك إقرار الأئمة المعصومين: (اقرؤوا كما علمتم)، (اقرؤوا كما تقرأ الناس).

من خلال ما تقدم يتبين بشكل جلي أن الاختلاف في القراءات لا يعني التعارض والتباين في النص القرآني، فالقراءات على اختلافها وتنوعها لم يتطرق إليها تضاد وتناقض، أو تدافع بين معاني الآية.

وعليه فإن هناك عدة صور لاختلاف القراءات - كما هو مقرر ومعروف في كتب القراءات وعلوم القرآن والتفسير- فمنها: ما اختلف فيه تنقيط الحرف من دون تغيير في رسم الكلمة، مثل (فتبينوا، فتثبتوا) (الحجرات/٦)، أو حركة الحرف (قَرن، قِرن) {الأحزاب/٣٣}، أو تغيير الحرف (يبصط، يبسط) {البقرة/٢٤٥}، أو بزيادةٍ (تحتها الأنهار، من تحتها الأنهار) {التوبة/١٠٠}، أو بحذفٍ (والذين اتخذوا، الذين اتخذوا) {التوبة/ ١٠٧}.

وغير ذلك من أنواع الاختلافات مما قرأ به القراء ودوّن في كتب القراءات من دون أن يؤثر ذلك كله في رسم المصحف.

ومما يأتي عرض لنماذج تطبيقية لما اختلفت قراءته بسبب تجرد المصحف من النقط، وفقدان الشكل، وبعض الظواهر الأخرى، للتدليل على صحة ما ذهبنا إليه:

نماذج تطبيقية:

١- اختلاف القراءة على مستوى النقط (تبينوا – تثبتوا):

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ {الحجرات/٦}.

أ - أوجه القراءة:

قرأ حمزة والكسائي وخلف: (فتثبتوا) بالتاء والباء. وقرأ الباقون: (فتبينوا) بالباء والياء(٣٢).

ب - حجة القراءة:

حجة من قرأ (فتثبتوا) من (تثبت)، أي: فتأنوا وتوقفوا حتى تتيقنوا صحة الخبر، وحجة من قرأ (فتبينوا) من (تبين)، أي : فافحصوا واكشفوا، وحجتهم قول رسول الله (ﷺ) ألا أن التبين من الله والعجلة من الشيطان فتبينوا[٣٣]. ويرى الفراء أنهما ((متقاربان في المعنى. تقول للرجل: لا تعجل بإقامة حتى تتبين وتتثبت))[٣٤].

جـ - دلالة القراءة:

اشتملت هذه الآية المباركة على قراءة مختلفة في حروفها متنوعة في معطياتها. فقد أفادت قراءة (فتثبتوا) معنى التثبيت، فهي من الثبت. والثبت: هو التأني، والتوقف، حتى تتضح صحة الخبر[٣٥]. والمعنى: فاطلبوا ثبات الأمر، ولا تعجلوا فيه. إذ دعت المؤمنين إلى التأني وترك الإقدام على القتل، دون التثبت، فجاء التثبيت مخالفا للإقدام، والتثبيت أفسح للمأمور من التبين، لان كل من أراد ان يتثبت قدر على ذلك، وليس كل من أراد أن يتبين قدر على ذلك، لأنه قد يتبين، وقد لا يتبين له ما أراد بيانه. فدلت على زيادة في المعنى المراد من جهة المخاطَب.

على حين أفادت قراءة (فتبينوا) معنى التبين، وهو التعرف والتفحص والكشف، عن هوية الأمر[٣٦]. ولما كان معنى الآية ((افحصوا عن أمر من لقيتموه واكشفوا عن حاله قبل أن تبطشوا بقتله، حتى يتبين لكم حقيقة ما هو عليه من الدين))[٣٧] حُمِلَ المخاطَب على التبيين فبه يظهر الأمر، فناسبت حيثية الحدث، وما تهدف إليه الآية.

ففي التبين معنى التثبت، وليس كل من تثبت في أمر تبينه، فقد يتثبت ولا يتبين له الأمر، فالتبين أعم من التثبت في المعنى لاشتماله على التثبيت.

ومدلول الآية مطلق[٣٨]، فـ((في تنكير الفاسق والنبأ: شياع في الفساق والأنباء، كأنه قال: أيّ فاسق جاءكم بأيّ نبأ))[٣٩]. فتنكير فاسق ونبأ يفيد الاطلاق لأنه نكرة في سياق الاثبات.

وبالنظر إلى قوله تعالى: (أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ) ((يفيد أن المأمور به هو رفع الجهالة وحصول العلم بمضمون الخبر عندما يراد العمل به وترتيب الأثر عليه))[٤٠]. وعلى هذا فإن قراءة التبين التي تفيد العلم وانكشاف الحقيقة هي الأرجح لمضمون الآية المباركة التي تقتضي الوصول إلى الحقيقة.

ولأن الفاسق نادرا ما يأتي بخبر صائب، صُدِّر بحرف الشرط (إن) المقتضي للشك لا بالحرف (إذا) المقتضي للحقيقة. مما يتطلب التحقق من خبره وبلوغ اليقين فيه، فلا يكفي مجرد التثبت.

وأيضا ورود الصيغة التعبيرية في خاتمة الآية (فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) التي نظرت إلى مآل عدم التبين من الخبر، وهو الخسران وإصابة القوم بجهالة، مما تطلّب الدقة والفحص عن النبأ، لأن عدم التحقق من صحة الخبر سيفضي إلى الندم، وهو مذموم عند المؤمنين.

٢- اختلاف القراءة على مستوى الحركة (قَرن – قِرن):

قال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾{الأحزاب/٣٣}.

أ – أوجه القراءة:

قرأ نافع وأبو جعفر وعاصم: (وقَرن)، بفتح القاف. وقرأ الباقون: (وقِرن)، بكسر القاف[٤١].

ب - حجة القراءة:

قال الخليل: ((القرار: المستقر من الأرض. وأقررته في مقره ليقر، وفلان قار، أي: ساكن))[٤٢] و((الوقار: السكينة والموادعة، ورجل وقور ووَقَّار ومتوقر: ذو حلم ورزانة))[٤٣].

فحجة من قرأ (قَرن) بفتح القاف، فهو من: قَرَرْتُ بالمكان أقَرُّ، و(قَرْن) كان في الأصل (اقْرَرْنَ) فحذفت الراء الأولى وألقيت حركتها على القاف، فقيل (قَرْنَ) ووزنها: (فَلْنَ).

وحجة من قرأ (قِرن) بكسر القاف، ففيه وجهان، أحدهما: أنه من الوقار، يقال : وَقَرَ يَقِر، والامر: قِرْ، وللنساء: قِرْن، ووزنها(عِلْنَ). والوجه الثاني: أنها من : قررت بالمكان أقر، وأصلها (إقْرِرْنَ) فحذفت الراء الأولى وألقيت حركتها على القاف، فقيل (قِرْنَ) ووزنها:(فِلْنَ)[٤٤]. فالكسر من وجهين من الوقار، أو من القرار. والفتح من القرار فقط.

جـ – دلالة القراءة:

على قراءة الفتح (قَرن) يكون معنى الآية: الأمر لهن بالاستقرار والسكون في بيوتهن وأن لا يخرجن إلا لضرورة.

أما قراءة الكسر (قِرن) فيحتمل أن تكون بمعنى (الاستقرار في البيوت) أو على معنى: كن أهل وقار، أي: هدوء وسكينة[٤٥].

وكلا المعنيين يتقبلها سياق النص القرآني فلا تعارض ولا تضاد بين القراءتين، فكلاهما مراد من نساء النبي، الاستقرار في البيوت، والوقار. إلا أن معنى الاستقرار أرجح من الوقار، بدليل قوله تعالى (فِي بُيُوتِكُنَّ) فإن قلنا إن المعنى أن يكنّ وقورات فلا داعي لتخصيص الوقار في البيوت، لأنّ الوقار مما يطلب في داخل البيوت وخارجها. فيتعين معنى الاستقرار في البيوت، لأنّه مما تطلبه دقة النص وسلامته. ولا يخفى أنّ الأمر بالاستقرار في البيوت على نساء النبي (ﷺ) [٤٦] هو سار على نساء الأمة وهو مقيد بما دون الحاجة.

٣- اختلاف القراءة على مستوى الحرف (يبصط- يبسط):

قال تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ {البقرة/٢٤٥}.

أ – أوجه القراءة:

قرأ الدوري عن أبي عمرو وهشام وخلف ورويس وخلف عن حمزة: (ويبسط) بالسين. وقرأ نافع والبزي وشعبة والكسائي وأبو جعفر وروح: (ويبصط) بالصاد. وقرأ الباقون: بالسين والصاد(٤٧).

ب - حجة القراءة:

وحجة من قرأ بالسين (ويبسط) أنها هي الأصل. فلو كانت الصاد الأصل لما جاز أن ترد إلى السين، إذ لا ينقل الحرف إلى ما هو أضعف منه، والصاد أقوى بكثير من السين، لإطباقها واستعلائها(٤٨). وحجة من قرأ بالصاد (ويبصط) أن الطاء مجهورة مستعلية والسين مهموسة مستفلة فكره الخروج من السين المستفلة إلى الطاء المستعلية لأن ذلك مما يثقل فأبدلوا من السين صادا، لأن الصاد توافق السين في الهمس والصفير والرخاوة، وتوافق الطاء في الاستعلاء(٤٩). ((فالصاد والطاء صوتان مطبقان أسنانيان لثويان))(٥٠).

جـ – دلالة القراءة:

يرى الدكتور فاضل السامرائي: أن(البصط) بالصاد، في آية البقرة مطلق عام لا يخص شيئا دون شيء، فهو يحتمل البسط في الرزق، وفي الأنفس، وفي الملك، وغيرها، وسائر ما في القرآن (يبسط) بالسين في عشرة مواضع مقيد. والمطلق أقوى من المقيد، فجاء في الأقوى بالصاد وفي المقيد بالسين(٥١). وهذا التحليل لـ(يبصط) في آية البقرة التي جاءت مخالفة لما في سائر القرآن بالسين هو تحليل معارض لما ورد فيها من قراءة بالسين (يبسط)، فهل يعد السامرائي هذه القراءة غير صحيحة؟.

ثم أن المُلاحَظ من القرائن المحفوفة بالآية أنّ (البصط) لم يكن مطلقا بل هو مقيد بالرزق(٥٢). ومما يؤيد ذلك تصدير الآية بصيغة الاستفهام عن الإقراض: (من ذا الذي يقرض الله)، ليستثير المؤمنين ويهيئ قلوبهم لاستقبال

هذا النداء، حتى يسهل عليهم الإنفاق ابتغاء مرضاة الله، فقد ذكر ابن العربي أن هذا الكلام جاء ((في معرض الندب والتحضيض على انفاق المال في ذات الله تعالى على الفقراء والمحتاجين، وفي سبيل الله بنصرة الدين))[٥٣] وقوله (قرضا حسنا)، ((إشارة إلى أنّ المال المبذول يجب أن يكون من الحلال لا من الحرام، وأن يبذل عن رضا وبقصد التقرب إليه سبحانه))[٥٤]، ثم جاء الجزاء (فيضاعفه لهم)، ليكونوا مطمئنين بما بذلوا وأنهم سيكافؤون عليه أضعافا مضاعفة.

فما ورد من هذه الصيغ التعبيرية كلها قرائن تشهد أن (البصط) مقيد بالرزق، وليس مطلقا. إذن (يبصط)، بالصاد لم تفد معنى الإطلاق كما ذهب إليه السامرائي، ((فلمّا كان المقام مقام تشجيع على الإقراض الحسن بواسطة العمل الصالح والإنفاق في سبيل الله ومقام وعد بمضاعفة القرض عند الجزاء جاء فعل البسط بتفخيم السين وانقلابها صادا فكان معنى ذلك أن تفخيم السين دليل على جدية الوعد بالمضاعفة لان من شأن الله سبحانه أن (يبصط) الرزق وهو من ثَمَّ أهل لان يبسط الجزاء بالمضاعفة))[٥٥]. ثم إن هناك تناسبا صوتيا بين (يقبض ويبصط) بالصاد، من ناحية طبقة الصوت، لا يتحقق مع السين في (يبسط)، إذ نلاحظ انخفاضا في طبقة الصوت عند موازنتها مع (يقبض) مما يؤدي إلى عدم الانسجام الصوتي، الذي يولد نفورا في السمع.

وتأسيسا على ذلك فقراءة (يبصط)، بالصاد هي الأقرب إلى المعنى المراد وفيها يتحقق الانسجام الصوتي والمعنوي للآية.

٤- اختلاف القراءة على مستوى الزيادة (تجري تحتها- تجري من تحتها):

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾{التوبة/ ١٠٠}.

أ- أوجه القراءة:

قرأ ابن كثير وحده: (تجري من تحتِها) بزيادة (من) وكسر التاء في (تحتها). وقرأ الباقون: (تجري تحتَها) بحذف (من) وفتح التاء في (تحتها)(٥٦).

ب- حجة القراءة:

حجة ابن كثير في زيادة (من) في قوله تعالى (تجري من تحتها الأنهار) أنها كذلك وردت في المصحف المكي. وحجة الباقين في حذف (من) في قوله تعالى (تجري تحتها الأنهار) أنها كذلك وردت في مصاحفهم(٥٧).

جـ- دلالة القراءة :

ما من حرف في كتاب الله إلا وله رسالة يؤديها ووظيفة يقوم بها، فهو ذو أسرار وملامح وإيحاءات وأبعاد دلالية عجيبة وبديعة مقصودة . فلا يوجد في القرآن الكريم بأسره حرف واحد زائد أو محذوف إلا وله قيمة تعبيرية ومغزى مقصود.

إذ إنَّ كل حرف من حروفه قد وضع وضعا محكما دقيقا له مغزاه، ودلالة خاصة مقصودة من المجيء به.

فما ورد في قوله تعالى ﴿جَنَّٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ من دون (من) على أصل قراءة المصحف له مغزى يختلف عَمَّن أثبتها في قراءته (تجري من تحتها الأنهار) وقد علق ابن الجزري على قراءة المصحف بقوله: ((فيحتمل أنه إنما لم يكتب (من) في هذا الموضع. لأن المعنى: ينبع الماء من تحت أشجارها، لا أنه يأتي من موضع، وتجري من تحت هذه الأنهار. وأمَّا في سائر القرآن، فالمعنى: أنها تأتي من موضع، وتجري من تحت هذه الأنهار. ولاختلاف المعنى خولف في الخط. وتكون هذه الجنات معدَّة، لمن ذكر تعظيما لأمرهم، وتنويهاً بفضلهم، وإظهاراً لمنزلتهم، لمبادرتهم لتصديق هذا النبي الكريم، عليه من الله

أفضل الصلاة، وأكمل التسليم ولمن اتبعهم بالإحسان والتكريم. والله أعلم))[٥٨].

إذ إنَّ من معاني (من) هو الابتداء، وكأن المعنى على من أثبتها أنه حدد منابع الأنهار، فمنح هذه الأنهار (تموضعا)، على حين أن هذه الأنهار على قراءة المصحف لم تُحَدَّد منابعها، ولم تبدأ من موضع معين، وكأنها منابع سرية لا يُعْرَف لها مورد (غيبية مصادرها)، مما يزيد من عظمة صنع الخالق وإبداعه. وكذلك فان في حذف (من) إيحائية على أن هذه الأنهار تجري تحتهم مباشرة، على نحو يُحَسّ بها. فترتفع بذلك أحاسيس الأولياء ومشاعرهم، وتشرق بذلك نفوسهم لما يرونه من أسرار الملكوت وعجائبه.

وهذا ما يتناسب مع المقام الكريم الذي وعده الله لطوائف الأمة الثلاث التي ذكرها في مطلع الآية، وهم (السَّابِقُونَ الأَولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ)، أي: (المهاجرون، والأنصار، والتابعون).

فلا جرم، فإن هذه الطبقة من المسلمين بمجموعاتها الثلاث كانت تؤلف القاعدة الصلبة للمجتمع المسلم، فكانت هي التي تمسك المجتمع في كل شدة وبلاء.

لذا هي تستحق كل المواهب والنعم الإلهية، وإضافة إلى ذلك ومن باب التأكيد فإن من امتيازات هذه النعم أنها خالدة، وسيبقون (خَالِدِينَ فِيهَا)، ولّما كان من أكمل النعم هو خلودها، أكد هذا الخلود بقوله (أَبَداً).

ثم استأنف مدح هذا الذي أعده لهم بقوله (ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)، فأي فوز أعظم من أن يحصل الإنسان على مواهب خالدة نتيجة أعمال محدودة قام بها. فكل هذه الصياغات التعبيرية التي أكدت فضل الطوائف الثلاث جاءت متناسبة ومتناغمة مع قراءة المصحف الشريف بحذف (من) التي أفادت ديمومة الأنهار(خلودها)، وسرية مصادرها (غيبيتها).

ولمكانة هذه الطوائف ومنزلتهم عند الله تعالى، يتضح الأمر جليا لماذا حذفت (من) قبل تحتها، وأثبتت في سائر القرآن قبل (تحتها)[٥٩].

٥- اختلاف القراءة على مستوى الحذف (الذين اتخذوا- والذين اتخذوا):

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾{التوبة/١٠٧}.

أ- أوجه القراءة:

قرأ نافع وابن عامر: (الذين اتخذوا) بغير واو. وقرأ الباقون: (والذين اتخذوا) بالواو[٦٠].

ب- حجة القراءة:

حجة من قرأ بالواو (والذين اتخذوا) أنه معطوف على ما سبق من الآيات[٦١]، أي: (ومنهم الذين اتخذوا مسجدا ضرارا).

وحجة من قرأ بغير واو (الذين اتخذوا): أن الذين مبتدأ، واختلف في خبره[٦٢]. ذهب الكسائي أن خبره (لا تقم فيه أبدا)، والتقدير: (الذين اتخذوا مسجدا لا تقم فيه أبدا)، أي لا تقم في مسجدهم[٦٣]. وذهب النحاس: إلى أنَّ خبره (لا يزال بنيانهم)، والتقدير: (الذين اتخذوا مسجدا لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم)[٦٤] وذهب المهدوي: إلى أنَّ خبره محذوف تقديره: معذبون أو نحوه[٦٥].

جـ- دلالة القراءة:

إن الحرف بين الإثبات والحذف يحتاج إلى مزيد من الإمعان والتدبر في كتاب الله العزيز، فلربما ينكشف ملمح نفسي، أو ملحظ تربوي، أو حتى

حقيقة تاريخية تضيء لنا النص، وتفك من استغلاقه وإبهامه، أو قد يكون لهذا الحرف ميزة كبيرة في حل كثير من الإشكاليات، فالحرف حين يتشكل في التركيب يكون له الأثر المعنوي الذي ينبئ عنه.

ولا سبيل للإفصاح عن المعنى المقصود لكل من القراءتين، وبيان دلالتيهما ومدى إثرائهما للنص القرآني، ما لم نطالع جيدا في هذا الحرف المثبت أو المحذوف، وبالنظر إلى السياق الذي وقعت فيه هذه الآية المباركة نجدها توجهنا إلى آيات سابقات عنها. وإذا بهذه الآيات السابقات تصف لنا طبقات من المنافقين والمقصرين في هذه السورة على شكل طبقات عامة وخاصة[٦٦].

فإن النص القرآني بقراءة إثبات حرف الواو، قد عطف طبقة من المنافقين على طبقات أخرى سابقة عنها في الذكر؛ وهم ((﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا ﴾[٦٧]، و﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا ﴾[٦٨]، و﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ ﴾[٦٩]، و ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ ﴾[٧٠]، ثم قال ((وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِداً ضِرَاراً)). فقد عرض النص القرآني في الآيات السابقة ألواناً شتى لنفاق المنافقين، وأضاف في هذه الآية لوناً آخر من نفاقهم وحيلهم.

فهذا النص القرآني بيان لمكيدةٍ من مكائد المنافقين لرسول الله وللمؤمنين، فهو عطف على أعمال المنافقين السابقة وهو مظهر آخر من مظاهرهم الخبيثة. وهذا يثبت حقيقة تاريخية وهي أن أعمال المنافقين وأفعالهم امتداد لأفعال المنافقين السابقين، فهي سنخ واحد، إلا أنها الوجوه التي تتغير وتتبدل. وهذه الحقيقة من السنن التاريخية في القرآن الكريم.

بيد أنَّ القراءة بحذف الواو على سبيل الاستئناف تشير إلى عرض مشؤوم وأسلوب خبيث من أساليب المنافقين، ولكن هذه المرة بلباس جديد وجميل وهو (المسجد)، فقد أشارت الآية إلى أنَّ الذين بنوا المسجد كانوا يهدفون من ورائه إلى أربعة أغراض، الأول: الإضرار بالمسلمين، والثاني: الكفر بالله، والثالث: التفرقة بين المسلمين، والرابع: جعله معقلا لمن حارب الله ورسوله من قبل. لذا جاءت القراءة من دون (الواو) تنبيها للرسول أن يتخذ موقفا عاجلا وحاسما لوأد هذه الفتنة، فجاء الخطاب له في الآية اللاحقة (لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا) النهي عن الإقامة فيه، ومما يدلل على هذا العمل تاريخيا أن الرسول أمر بهدم هذا المسجد(٧١).

الخاتمة

١- بين البحث أن سبب مخالفة الرسم العثماني للكثير من القواعد الإملائية ، أن الصحابة كتبوا المصاحف كما يكتب الناس في زمانهم ، بالقواعد الإملائية التي يعرفونها.

٢- ذهب البحث إلى عدم توقيفية الرسم العثماني، أو أنه يحوي أسرارا خفية ومعاني صوفية. أو أن الرسم كُتِب بطريقة تحتمل القراءات القرآنية. بل غاية الأمر أن لرسم المصحف جذوراً تاريخية، ترجع إلى بداية الخط النبطي المشتق من الخط الآرامي. وهذا الرأي هو الذي ترجحه الأدلة الأثرية المكتوبة، التي اكتشفت قبل الإسلام وفي سنواته الأولى.

٣- بين البحث أن ما ورد في المصحف من مخالفات إملائية ليس بالشيء الذي يمس سلامة القرآن ، فالقرآن الذي يقرأ ، لا الذي يكتب، فلتكن الكتابة بأي أسلوب.

٤- نفى البحث أن يكون السبب الرئيس في نشأة القراءات القرآنية رسم المصحف وفقا لرؤية المستشرقين. لأن الرسم لاحق للقراءات وليس سابقاً عليها حتى يكون السبب الرئيس في نشأتها.

٥ - نفى البحث ما ذهب إليه المستشرقون من اختلاط واضطراب مزعومين في النص القرآني، بحسب تعدد القراءات. فالقرآن كله على تنوع قراءاته يصدق بعضه بعضا، ويبين بعضه بعضا ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد من علو الأسلوب والتعبير.

٦- اثبت البحث بما لا يدع مجالا للشك تعاضد القراءات وعدم تنافرها أو تضادها من خلال نماذج قرائية ساهم فيها الاختلاف والتنوع بسبب تجرد المصحف من النقط، وفقدان الشكل، وغياب الحركة النحوية على الثراء والاتساع.

هوامش البحث

(١) ظ: لسان العرب ، ابن منظور(رسم) ١٣٢/١٥.

(٢) ظ: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، غانم قدوري حمد ١٥٦.

(٣) تاريخ ابن خلدون ٧٩١/١ .

(٤) صبح الأعشى في صناعة الإنشا ١٧٩/٣.

(٥) رسم المصحف ١٥٧ .

* الذي يراد من الجمع توحيد الامة على قراءة واحدة ، وتدوين هذه القراءة ونسخها وارسالها إلى الأمصار.

(٦) رسم المصحف ١٥٧.

(٧) ظ : الإتقان في علوم القرآن، السيوطي ١٤٥/٢ . والنشر في القراءات العشر ٢/ ١٢٨.

(٨) ظ: الفهرست٣٦.

(٩) فقه اللغة ، علي عبد الواحد وافي ٢٤٩-٢٥٠.

(١٠) مناهل العرفان ١/ ٣٧٦ .

(١١) دراسات قرآنية (تاريخ القرآن) ١٤٠-١٤١ .

(١٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي ٣٨٠/١ .

(١٣) الإتقان في علوم القرأن، السيوطي ١٤٥/٤ .

(١٤) رسم المصحف ٢٢٩ .

(١٥) رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية ٣٧ .

(١٦) الإتقان في علوم القرآن ٤/ ١٤٧ .

(١٧) مناهل العرفان في علوم القرآن ٢٥٨/١ .

❖ النبط: هم قوم من الساميين أسسوا مملكة في شمال الجزيرة العربية وجنوب فلسطين وبلاد الشام، كانت عاصمتها البتراء. استعملت الآرامية لغة كتابية لها، مرورا بالنبطية حتى صارت العربية لغة حياتهم اليومية. ظ: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، غانم قدوري الحمد، منشورات اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، بغداد-العراق، ط١، ١٩٨٢م، ٤٥-٤٦.

(١٨) ظ: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية ٥٩-٧٥.

(١٩) ظ: تاريخ القرآن، محمد حسين علي الصغير ١٣٥.

(٢٠) مذاهب التفسير الإسلامي ٨- ٩.

(٢١) ظ: م.ن ٩-١٢.

(٢٢) مقدمة كتاب المصاحف ٧٠.

(٢٣) تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، القسم الأول ١٩٧/١ .

(٢٤) ظ : محمد طاهر بن عبد القادر الكردي، تاريخ القرآن وغرائب رسمه . وعبد الوهاب حمودة ، القراءات واللهجات . وعبد الفتاح شلبي ، رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم دوافعها ودفعها . وعبد الصبور شاهين ، تاريخ القرآن .

(٢٥) ظ : الموسوعة القرآنية الميسرة ، لهجة القرآن الكريم ، مجلة المجمع العلمي العراقي ،١٩٥٥ ، ودراسات في تاريخ الخط العربي.

٢٦ ظ: شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، العسكري١٢.

(٢٧) رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، غانم قدوري حمد ٧٢٢.

(٢٨) مذاهب التفسير الإسلامي ٤.

(٢٩) مناهل العرفان ١/ ١٠٥.

(٣٠) مناهل العرفان ١/١٠٥.

(٣١) النساء الآية ٨٢.

(٣١) ظ: كتاب السبعة في القراءات ٢٣٦، والنشر في القراءات العشر ٢/ ١٨٩.

(٣١) ظ: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ٢/ ٤٣٣.

(٣١) معاني القرآن ١/ ١٩٦.

(٣١) ظ: التبيان في تفسير القرآن ٩/ ٣٤٤، وفتح القدير ٥/ ٧٤، وروح المعاني ١٣/ ٢٩٨.

(٣١) ظ: التبيان في تفسير القرآن ٩/ ٣٤٤، وفتح القدير ٥/ ٧٤، وروح المعاني ١٣/ ٢٩٨.

(٣١) الكشف ٢/ ٤٣٣.

(٣١) روي في سبب نزولها انها نزلت في الوليد بن عقبة بن ابي معيط بعثه رسول الله (ﷺ) إلى بني المصطلق مصدقا وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمع القوم تلقوه تعظيما لله تعالى ولرسوله فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق الى رسول الله (ﷺ) وقال : ان بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي فغضب رسول الله (ﷺ) وهَمَّ أن يغزوهم فبلغ القوم رجوعه فأتوا رسول الله (ﷺ) وقالوا : سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي إليه ما قبلنا من حق الله تعالى فبدا له في الرجوع فخشينا أن يكون إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك بغضب غضبته علينا وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فأنزل الله تعالى الآية. ظ: أسباب النزول، الواحدي ١٩١.

(٣١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل ٤/ ٣٥٠.

(٣١) الميزان في تفسير القرآن ١٨/ ٣١٦.

(٣١) ظ: الحجة ، ابن خاويه ١٨٥، وكتاب السبعة ٥٢١-٥٢٢، والنشر ٢٦١/٢.

(٣١) كتاب العين، (قر) ٢١/٥.

(٣١) م . ن ، (وقر): ٢٠٧/٥.

(٣١) ظ: معاني القران ، الفراء ٣٤٢/٢، وكتاب المعاني القراءات ٣٨٦، والحجة، الفارسي ٢٨٤/٣، وحجة القراءات ٥٧٧، والكشف ٣٠٢/٢.

(٣١) ظ: جامع البيان ٣/٢، والتبيان ، الطوسي ٣٣٧/٨، ومفاتيح الغيب ٢١٠/٢٥.

(٣١) كانت السيدة عائشة إذا قرأت هذه الآية تبكي حتى تبل خمارها. قال ابن عطية: ((وبكاء عائشة إنما كان بسبب سفرها أيام الجمل وحينئذ قال لها عمار: إن الله أمرك أن تقري في بيتك)). المحرر الوجيز ٣٨٣/٤، وظ: الكشف والبيان، الثعلبي ١٠٦/٥.

(٣١) ظ: كتاب السبعة١٨٥- ١٨٦، والنشر ١٧٢/٢-١٧٣.

(٣١) ظ: الكشف ٣٤٩/١-٣٥٠.

(٣١) ظ: شرح المفصل ١٣٩١/١٠، وجمهرة اللغة، ابن دريد ١٢/١-١٣.

(٣١) دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر ٢٧٠.

(٣١) ظ: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، فاضل السامرائي ٤٧.

(٣١) ظ: جامع البيان ٥٩٤/٢، والكشاف ٢٨٧/١، ومجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي ١٣٧/٢، ومفاتيح الغيب ، الرازي ١٨٢/٦، وتفسير القران العظيم، ابن كثير ٣٢٢/١.

(٣١) حكام القرآن ١/ ٣٠٦- ٣٠٧.

(٣١) التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية ٣٧٥/١.

(٣١) البيان في روائع القرآن، تمام حسان ٤٣١/١.

(٣١) ظ: كتاب السبعة ٣١٧، والنشر ٢٤٧/٢.

(٣١) ظ: التبيان في إعراب القرآن ٤٨٩/١.

(٣١) النشر ٢٤٧/٢.

(٣١) ظ: البقرة /٢٥، والأنعام/٦.

(٣١) ظ: كتاب السبعة ٣١٨، والنشر٢١١/٢.

(٣١) ظ: الكشف ٨٦/٢، والتبيان، العكبري ٤٩٠/١.

(٣١) ظ: م. ن.

(٣١) ظ: معاني القرآن، الكسائي ١٥٧.

(٣١) ظ: إعراب القرآن ٤٠/٢.

(٣١) ظ: البحر المحيط ١٠٢/٥.

(٣١) ظ: أحكام القرآن، ابن العربي ٥٨١/٢.

(٣١) التوبة من الآية ٩٧.

(٣١) التوبة من الآية ٩٨.

(٣١) التوبة من الآية ٩٩.

(٣١) التوبة من الآية ١٠١.

(٣١) إن المنافقين عرضوا بمسجد يبنونه يضاهون به مسجد قباء وهو قريب منه فلما فرغوا من بنائه أتوا رسول الله(ﷺ) فقالوا : إننا بنينا مسجدا فصَلِّ فيه حتى نتخذه مصلى فأخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت هذه الآية ، فدعا رسول الله (ﷺ) جماعة ، وقال لهم : انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا . ظ: كتاب أسباب النزول ، الواحدي ١٢٧، ولباب النقول في أسباب النزول، السيوطي ١١٢ .

قائمة المصادر والمراجع

۞ القرآن الكريم.

- الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) ط٣، مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥١ م.

- إعراب القرآن: أحمد بن محمد أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) تحقيق زهير غازي زاهد، مطبعة العاني – بغداد ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

- إعراب القران الكريم وبيانه: محيي الدين الدرويش، ط١، سليمان زاده – قم ، ١٤٢٥هـ .

_ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي ، ط١ ،دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٦٧هـ - ١٩٥٧م.
_ تاريخ الأدب العربي: ألفه بالألمانية كارل بروكلمان (١٨٦٨- ١٩٥٦م) ، ترجمة عبد الحليم النجار وآخرين، الاشراف على الترجمة العربية محمود فهمي حجازي، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣م.
- تاريخ التمدن الإسلامي: جرجي زيدان، دار الهلال (د. ت).
- تاريخ القرآن: د. عبد الصبور شاهين، دار القلم ـ الكويت ١٩٦٦م.
_ التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت٦١٦هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
_ التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، قدم له الشيخ أغا بزرك الطهراني، المطبعة العلمية – النجف الاشرف ١٩٥٧م.
- تفسير الفخر الرازي المشتهر بـ(التفسير الكبير ومفاتيح الغيب): فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦ هـ)، ط٣، دار الفكر- بيروت ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، ط٢، مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٧٣هـ- ١٩٥٤م.
_ الجنى الداني في حروف المعاني: حسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩ه)، تحقيق طه محسن، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر- جامعة الموصل ١٩٧٥م.
- الحجة في القراءات السبع : أبو هبة الله الحسين بن خالويه (ت٣٧٠هـ)، تحقيق أحمد فريد المزيدي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
- حجة القراءات: أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (ت ٣٠٢ هـ) تحقيق سعيد الأفغاني، ط٤، مؤسسة الرسالة- بيروت ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م.
- الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر أبن مجاهد: أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي (ت ٣٧٧ هـ)، وضع حواشيه

وعلق عليه كامل مصطفى الهنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

- دراسات قرآنية (تاريخ القرآن): محمد حسين علي الصغير، ط٢، مكتب الإعلام الإسلامي هـ ق ١٤١٣.
- رسم المصحف – دراسة لغوية تاريخية: غانم قدوري الحمد، ط١، مؤسسة المطبوعات العربية – بيروت ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.
- رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم دوافعها ودفعها: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، جدة، دار الشروق، ط٢، ١٤٠٣هـ.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود الآلوسي، ت١٢٧٠هـ، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف: أبو أحمد العسكري، ت عبد العزيز أحمد، مكتبة البابي الحلبي ط١، مصر١٩٦٣م.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا: أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي (ت٨٢١ هـ) نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر والترجمة، القاهرة ١٩٦٣م، طبعة دار الكتب المصرية ١٩١٠م - ١٩٢٠م.
- فقه اللغة: علي عبد الواحد وافي، أطراه مجمع اللغة العربية، ط٦، دار النهضة مصر- القاهرة ، للطبع والنشر.
- في ظلال القرآن: سيد قطب، ط٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٨٦هـ= ١٩٦٧م.
- الفهرست: ابن النديم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت. د. ت.
- كتاب أسباب النزول: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، (ت٤٦٨ هـ)، ط١، دار ابن الهيثم – القاهرة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
- كتاب السبعة في القراءات: أبو بكر أحمد بن موسى، المعروف بابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) تحقيق د . شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف- مصر ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.

- كتاب سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (ت ١٨٠ه) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط١، دار الجيل – بيروت.
- كتاب المصاحف: ابن أبي داود، نشر أرثر جفري ١٩٣٧م.
- كتاب معاني القراءات: أبو منصور محمد بن احمد الأزهري (ت٣٧٠هـ)، تحقيق احمد فريد المزيدي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: مكي بن ابي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) تحقيق الشيخ عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث القاهرة، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- الكشف والبيان في تفسير القرآن المعروف بـ(تفسير الثعلبي): الإمام أبو إسحاق احمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت٤٢٧هـ)، تحقيق سيد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- لسان العرب: جمال الدين بن منظور الأنصاري الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ٢٠٠٥م.
- لهجة القرآن الكريم: جواد علي، مجلة المجمع العلمي العراقي ٢٩٠ ، ١٩٥٥م.
- مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، المجلد ٣، جزء١، ١٩٣٥م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن: الشيخ أبو علي الفضل الطبرسي (القرن السادس الهجري) تصحيح وتحقيق وتعليق هاشم الرسولي المحلاتي – دار احياء التراث العربي – بيروت – ١٣٣٩هـ .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: القاضي ابو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٠م.

- مذاهب التفسير الإسلامي: جولد تسيهر ،ترجمة عبد الحليم النجار، ط٢، دار إقرأ، بيروت ١٩٨٣م.
- معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق احمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م.
- معاني القرآن وإعرابه: أبو إسحق إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١ هـ) تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث – القاهرة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: أبو محمد عبد الله بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، ط١، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر- طهران ١٣٧٨.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : جواد علي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون (ت٨٠٨هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت (د. ت).
- مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ) دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه. القاهرة (د. ت).
- الموسوعة القرآنية الميسرة: إبراهيم الإبياري، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ١٩٧٤م.
- الميزان في تفسير القرآن: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، ط١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
- النشر في القراءات العشر: الإمام الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، ٨٣٣ هـ، قدم له صاحب الفضيلة الأستاذ علي محمد الضباع، خرج آياته الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.